

العودة إلى المستقبل: الإدارة المستدامة للموارد التراثية والمناظر الطبيعية التقليدية في المغرب

يلزمنا أحياناً النظر إلى الماضي لحل مشاكل المستقبل. اكتشف كيف يساعد صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة المجتمعات في المغرب على إحياء نظام إدارة الموارد الرعوية التقليدي "أجدال" لتجنب المزيد من تدهور المراعي واستعادة المراعي المتدهورة.



ممارسات الرعي في المعتزه الوطني لتويقال © مؤسسة Biotope

تعتبر المراعي في المغرب مهمة للحياة البرية والناس على حد سواء، فهي تحمي الأرض من الفيضانات وتآكل التربة، وكذلك تعمل على تغذية المياه الجوفية، ولكن للأسف، تعاني الأراضي المغربية من تصحر مستمر، وفي بعض المناطق، تتسارع وتيرة التصحر بسبب التعدي على المراعي لإنتاج المحاصيل والرعي الجائر، مما يؤثر على الغطاء النباتي الطبيعي بشكل سلبي.

ومع ذلك، تلعب الثروة الحيوانية دوراً حيوياً في المجتمع المغربي واقتصاده، فهي المصدر الرئيسي لدخل الرعاة في المغرب، ولها أهمية خاصة في جبال الأطلس الكبير، حيث تعتمد حوالي ٢٦٪ من الأسر الريفية على الإنتاج الحيواني، ولذلك فإن الحفاظ على التوازن الصحيح بين الجوانب البيئية والاجتماعية والاقتصادية يتطلب إدارة حكيمة.



إعادة إحياء نظام أجدال في المغرب - © زيد سلمد، جمعية الغابة النموذجية - إفران

لحسن الحظ، أظهرت المعرفة البيئية التقليدية للرعاة منذ قرون أن تحقيق هذا التوازن أمرٌ ممكنٌ، حيث يعتبر نظام أجدال نظام حكم مجتمعي يدير من خلاله الرعاة الأراضي الجماعية وينظمون رعي الماشية بموجب قواعد وأنظمة محددة، وفي السنوات الماضية، كفل اعتماد نظام أجدال في مناطق محددة استدامة الموارد وبقاء مجتمعات النباتات والحيوانات البرية في المنطقة سليمة.

شكل أجدال المشهد الثقافي لجبال الأطلس الكبير عبر القرون، فهو يشمل مناطق وموارد وقواعد محددة لإتاحة الوصول إلى الموارد صاغتها المجتمعات المحلية لإدارة أراضيها، كما يعتمد نظام أجدال بشكل أساسي على تناوب المراعي ومواقيت فتح وإغلاق الرعي فيها، إذ يحظر الرعي خلال فصل الربيع للسماح للغطاء النباتي بإكمال دورة حياته، بما في ذلك الإزهار والتلقيح وإنتاج البذور، وتساعد هذه القواعد المناظر الطبيعية بأكملها على العودة إلى الحياة كل ربيع، وتعويض النباتات والحيوانات التي تتغذى عليها.



مظاهر التوطن في المتنزه الوطني لتوبقال - © مؤسسة Biotope

لكن في السنوات الأخيرة كان هناك تحول كبير من حياة الترحال إلى التوطن في المغرب، ففي الماضي كان الرعاة ينتقلون بين الجبال والوديان، فيتجهون صعوداً في الربيع والصيف لإطعام مواشيهم على جوانب الجبل، ويستقرون في الوادي في الشتاء، أما في الوقت الحاضر، استقرت العديد من المجتمعات في مناطقها وبنيت منازل دائمة وعملت في الزراعة، إلا أن هذا التغيير في استخدام الأراضي له تأثير سلبي على الموارد الطبيعية للمنطقة.

من أجل معالجة هذا الأمر، قامت بيردلايف (من خلال دورها كفريق التنفيذ الإقليمي لمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط الساخنة التابعة لصندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF)) بدعم مؤسستين: مؤسسة Biotope للتنوع الحيوي وجمعية الغابة النموذجية - إفران (AFMI)، لإحياء الممارسات التقليدية والحفاظ على المناظر الطبيعية الثقافية في المغرب.

توفير خيارات إدارة مستدامة للمراعي في متنزه إفران الوطني

ألقى الرعي الجائر بعبء ثقيل على المناظر الطبيعية لمتنزه إفران الوطني في المغرب، إذ يعد جلب الرعاة لأغنامهم للرعي في غابات الأرز من أكبر المشاكل في المنطقة، مما يتسبب في انخفاض سريع في عدد أشجار الأرز. تعتقد جمعية الغابة النموذجية - إفران أن الحل للتغلب على هذه القضايا، وتجنب المزيد من التدهور، يكمن في الممارسات التقليدية التي اعتاد أجداننا على ممارستها في الماضي.

تم هجر نظام أجدال في متنزه إفران الوطني، وأدت النزاعات القبلية خاصة على الموارد المائية إلى زيادة الوضع سوءاً، مما دفع إلى ضرورة اتخاذ إجراءات عاجلة لسد الفجوة بين المجتمعات المحلية والمؤسسات الحكومية، وبهذا عملت جمعية الغابة النموذجية - إفران، من خلال دعم صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة، جنباً إلى جنب مع وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، والمجتمعات المحلية داخل المتنزه، واتفقوا على إحياء نظام أجدال على مساحة 67 هكتاراً من الأراضي الرعوية الجماعية.



تدعم جمعية الغابة النموذجية ممارسات الرعي التقليدية - إفران - © زيد سلعد، جمعية الغابة النموذجية - إفران

تم إغلاق المنطقة أمام الرعي لمدة ستة أشهر مع تكليف حراس بمراقبتها، وخلال هذا الوقت، قامت الجمعية بزراعة نباتات أصيلة في ثلاثة مواقع ذات أولوية، في محاولة لاستعادة أنواع النباتات المهدة بالانقراض، كما تقرر أخيراً أن يكون شهر أيلول (سبتمبر) هو الفترة المحددة للرعي بدلاً من الربيع، فهذا سيضمن نمو النباتات ووصولها إلى مرحلة النضج وتكوين البذور، التي ستساعد الماشية في انتشارها أثناء تنقلها في جميع أنحاء المنطقة، ولضمان نجاح عملية إدارة الرعي، قامت الجمعية أيضاً بتوفير موارد مائية للرعاة في خمسة مواقع في منتزه إفران الوطني.

لا يمكن استدامة نظام أجدال على المدى الطويل من غير موافقة ومشاركة المجتمعات المحلية، ولهذا قامت الجمعية بعقد العديد من الجلسات الحوارية مع القبائل والمجتمعات المحلية على مدى ستة أشهر، لتسليط الضوء على فوائد أجدال على الثروة الحيوانية والتنوع الحيوي، وبعد مشاهدة نمو النباتات وإثراء الحياة الفطرية كالحشرات والحيوانات الصغيرة، تعهدت القبائل المحلية بتبني نظام أجدال وحمايته من الانتهاكات.



أشغال الخزامى لزراعتها بدلا من أشجار التفاح - @ زيد سلمد، جمعية الغابة النموذجية - إفران

كجزء من مبادرة سابقة، حصل المزارعون في منتزه إفران الوطني على تمويل لإنشاء مزارع تفاح، وبما أن أشجار التفاح تحتاج إلى الكثير من المياه فقد تم حفر آبار ارتوازية مما أدى إلى نضوب المياه الجوفية. شجعت الجمعية - من خلال دعم صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة - المزارعين على استبدال أشجار التفاح بشجيرات الخزامى، التي تتكيف مع الظروف الحارة والجافة ولا تحتاج إلى ري، كما يمكن أن تدخل كعنصر مهم في صناعة الصابون، مما سيوفر دخلاً بديلاً للمزارعين، ويقلل الضغط على الموارد الطبيعية. ساهمت الحلول التكميلية مثل أجدال في إنشاء شراكات جديدة تمكّن من توسيع نطاق هذه المبادرة ونشرها في مواقع جديدة.

يقول لحسن أوقانو، خبير أجدال في جمعية الغابة النموذجية - إفران: **"بعد أجدال الحل الأفضل لإحياء التنوع الحيوي في المغرب، فلقد أثبت نظام الإدارة المجتمعية هذا فعاليته على مدى قرون."**

بناء قاعدة معرفية متينة في المنتزه الوطني لتوبقال

يقع المنتزه الوطني لتوبقال في وسط جنوب غرب المغرب، ويمتد على مساحة ٣٨٠ كيلومتراً مربعاً من الجبال الأخاذة، وينتشر فيه الرعي، ولكن حتى وقت قريب لم تكن هناك خطة إدارة محدثة للمنتزه، ففي حين يحتاج التخطيط إلى قاعدة معرفية قوية، كان المنتزه بحاجة ماسة إلى معرفة الحياة البرية في المنتزه، والمجتمعات التي تقطن فيه، واستخداماتهم لأرض المنتزه. كانت هناك محاولة محدودة سابقاً لرسم خريطة للأنشطة داخل المنتزه، ولكن نظراً لنقص الميزانية والموارد، لم تغط هذه الدراسة مساحة ٣٨٠ كيلومتراً مربعاً بالكامل.

لسد الفجوة المعرفية، عملت مؤسسة **Biotope**، وهي شركة استشارات دولية، من خلال دعم صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة، على تحليل الوضع الحالي في المنتزه الوطني لتوبقال فيما يتعلق بالرعي والحفاظ على

التنوع الحيوي، وسيتم استخدام هذه المعلومات لتحديث وتحسين خطة إدارة المتنزه، كما تمكنت **Biotope** من خلال عملهم السابق مع إدارة المتنزه من تحديد المناطق ذات الأولوية لبدء العمل فيها، وبالتعاون مع سلطات المتنزه، تم اختيار التركيز على مركز المتنزه، حيث تتم معظم الأنشطة.



فريق العمل أثناء العمل الميداني في المتنزه الوطني لتوبقال - © مؤسسة Biotope

أجرى فريق المشروع، بالتعاون مع إدارة المتنزه وطالب ماجستير من جامعة مراكش، مقابلات مع أكثر من ١٠٠ عضو من المجتمع المحلي، وساعد هذا في بناء علاقة أقوى بين المجتمع المحلي وإدارة المتنزه، حيث منحهم هذه المقابلات الفرصة للجلوس والتحدث لأول مرة على الإطلاق في بعض أجزاء المتنزه، كما ساعدت - إلى جانب العمل الميداني - على تحسين المعرفة بالنباتات والموائل الطبيعية واستخدامات الأراضي والممارسات التقليدية - مثل أجدال - داخل المتنزه، وساعد التحدث إلى كبار السن والرعاة الفريق على اكتساب نظرة أعمق للمعارف التقليدية وتطور الممارسات التقليدية على مر السنين.

بالنظر إلى ما سبق، قد يكون إحياء نظام أجدال حلاً جيداً للتغلب على التحول إلى التوطين في المتنزه، ومع ذلك، فإن هذا يتطلب التزام المجتمعات المحلية داخل المتنزه، ولذلك فإن الخطوة التالية من المشروع ستكون تطوير ميثاق قبلي ليتم توقيعه من قبل أفراد المجتمع المحلي، وسيوافقون من خلاله على ممارسة الإدارة السليمة للمراعي والمساهمة في استعادة المراعي في منطقتهم.

نظرًا لأنه سيتم حظر الرعي خلال فصل الربيع في بعض مناطق المتنزه للسماح بتجديد الغطاء النباتي، يجب توفير دخلٍ بديلٍ، ولذلك تدرس **Biotope** برنامج تعويض مشابه لتلك البرامج التي تنفذها السلطة المغربية للحفاظ على الغابات، لتعويض الرعاة خلال فترة الحظر، كما أنهم يعملون على تحديد فرص جديدة داخل المتنزه لتسويق منتجات المجتمع المحلي للسياح.



المتنزه الوطني لتوبقال - © مؤسسة Biotope

نُشر مؤخراً في المغرب قانون وطني جديد لتحسين إدارة الرعي، كما يجري وضع خطط إدارة إقليمية للمناطق الرعوية، وعليه تُجري Biotope مشاورات مع السلطات المغربية لفهم النظرة العامة الإقليمية والتوصية بأفضل الممارسات لتحسين إدارة استخدام الأراضي.

يقول سيريل باربييه، مدير المشروع في مؤسسة Biotope: "يعد تحسين المعرفة داخل متنزه إفران الوطني إنجازاً عظيماً، لم يكن من الممكن تحقيق ذلك من غير دعم صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة، فمن خلال هذا المشروع، عمل القطاع الخاص وإدارة المتنزه وطلاب الجامعات والمجتمعات المحلية معاً لصالح المنظر الطبيعي بأكمله."